مناظرة

أهل البدع في القنوات الفضائية

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة

بجامعة الملك سعود بالرياض

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم..

وبعد..

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين، ودالّين وموجهين، وجعل هدي الأنبياء وطريقتهم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وآخر الأنبياء وخاتمهم هو محمد بن عبد الله ﷺ، بعثه الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً، فوجه لسبل الهدى، وحذر من سبل الردى، وما ترك خيراً إلا دلّ الخلق عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه.

وأنزل الله تعالى عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فأمر الناس بالاتباع ونهاهم عن الابتداع، وذلك لخطر البدع، فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية لعظم إفسادها، وضلال سعي أهلها، ولأن صاحبها لا يتوب منها لأنه يرى أنه على الحق فكيف يرجع عنه، إلا ما شاء الله تعالى.

وأخطر البدع ما كان علمياً اعتقادياً؛ كبدع الفرق الاعتقادية مثل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، وغيرهم..

وهذه الفرق ظهرت قديماً ولا زال فكرها وأتباعها إلى هذا الزمان، بل اشتد الأمر في زماننا فصار لهذه الأفكار البدعية وسائل إعلام حديثة يروجها أهلها بها.

وقد اجتهد العلماء من القديم بالرد على المبتدعة تأليفاً وتدريساً ونصيحة إلا أن هذه الوسائل على عظيم منفعتها وكبير أثرها أصبحت في زماننا محدودة التأثير؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يهتمون بالقراءة.

فسلك فريق من أهل العلم سبيلاً رأوا أنه من أنجع الوسائل اليوم لمواجهة هذه البدع والتحذير من أهلها، وحماية الإسلام منها، وهذا السبيل هو مناظرة أهلها على رؤوس الأشهاد، ومزاحمتهم في المنابر التي تمكِّن لهم، في القنوات الفضائية، وصفحات وغرف الشبكة العنكبوتية.

ومن هنا يبرز السؤال عن مشروعية هذا الأمر، وعن المنهج الشرعي تجاهه، والضوابط في ذلك، والنتائج المترتبة عليه.

فرأيت كتابة هذا البحث المختصر في «مناظرة أهل البدع في القنوات الفضائية ـ نظرة عقدية» خاصة أني ممن شارك في عدد من المناظرات مع الشيعة من خلال قناة «المستقلة» في بريطانيا ـ لندن.

وقسمت هذا البحث إلى فصلين، وسبعة مباحث:

الفصل الأول: مفهوم البدعة، والمناظرة.

المبحث الأول: البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع.

المبحث الثالث: معنى المناظرة، وأدلتها.

المبحث الرابع: موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع.

الفصل الثاني: المناظرة في القنوات الفضائية.

المبحث الأول: مصالح مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثاني: مفاسد مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثالث: آداب المناظرة.

المبحث الرابع: توجيهات عامة لمناظر المبتدعة.

ثم خاتمة، وثبت المصادر، والفهرس.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم. . آمين. .

كتبه د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

الرياض في ٢٤ جمادى الثانية ١٤٣١هـ

الفصل الأول

مفهوم البدعة، والمناظرة

المبحث الأول

البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها

تمهيد

لم يختلف أهل العلم في ذم البدع، وتكاثرت أقوالهم في التحذير منها، وبيان خطرها، واتفقوا أن خير الهدي هو هدي رسول الله ﷺ، ووضعوا للبدع ضوابط وتعريفات، كشفوا بها عوارها، وجلّوا معناها.

وفيما يلي سياق شيء من تعريفات أهل العلم للبدعة.

أولاً: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

تعريف البدعة لغة:

قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه.

البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي: ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الفتح: ٢٧] وبدَّعه: نَسبه إلى البدعة.

واستبدعه: عده بديعاً. والبديع المحدث العجيب.

والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال.

والبديع: «من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها..»(١).

---

(١) لسان العرب مادة (بدع) ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.

وقال الراغب الأصفهاني: «الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء... والبديع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] قيل معناه: مبدعاً لم يتقدمني رسول..

والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة»(١).

وقال أبو البقاء الكفوي: «البدعة كل عَمل عُمل على غير مثال سبق فهو بدعة»(٢).

ثانياً: تعريف البدعة اصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريف البدعة وتحديد مفهومها فمنهم من حصر البدعة في باب العبادات، فضيق مفهومها فقصرها على الابتداع في باب العبادات اصطلاحاً.

ومنهم من وسع مفهومها فأطلقها على كل محدث من الأمور وجعلها تنقسم إلى أقسام خمسة: فهي إما واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة(٣).

والمختار في تعريف البدعة شرعاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى(٤).

---

(١) المفردات ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) الكليات ص٢٢٦.

(٣) انظر مسالك العلماء في تعريف البدعة في المصادر الآتية: قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢؛ الاعتصام ١/ ٣٧؛ تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٢؛ الباعث ص١٣؛ اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٧٠؛ الأمر بالاتباع ص٨١؛ تلبيس إبليس ص١٦؛ فتح الباري ٥/ ١٥٦؛ جامع العلوم والحكم ص٣٣٥؛ الفروق ٤/ ٢٠٢؛ تهذيب الفروق ٤/ ٢١٧؛ البدعة ص١٩٥؛ إصلاح المساجد ص١٤؛ اتقان الصنعة ص٧؛ السُّنَّة والبدعة ص١٩٥؛ السنن والمبتدعات ص١٥؛ كلمة علمية هادئة في البدعة وأحكامها ص١٢؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/ ٣٢١؛ الموسوعة الفقهية ٨/ ٢١.

(٤) الاعتصام ١/ ٣٧.

(طريقة في الدين) الطريقة والطريق السبيل، وقيِّدت بالدين لأنَّها فيه تُخترع، وإليه يضيفها صاحبُها.

(مخترعة) أي: طريقة ابتدعت على غير مثال سابق.

(تضاهي الشرعيّة) يعني: أنّها تشابه الطريقة الشرعيَّة من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ من التزام كيفيّات وهيئات معيَّنة.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)؛ لأنّ أصل الدخول فيها يحثّ على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك[(١)].

قال ابن رجب: «فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين منه بريء»[(٢)].

وقال: «والمراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأمّا ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة»[(٣)].

قال ابن حجر: «والمراد بقوله: «**كل بدعة ضلالة**» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام»[(٤)].

مقارنة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للبدعة:

المعنى اللغوي أعمّ من المعنى الشرعي، فالعلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ إذ كل بدعة في الشرع يطلق عليها لغة أنها بدعة، وليس كل ما يطلق عليه في اللغة أنه بدعةٌ بدعةً في الشرع.

والبدعة في الشرع ملازمة لصفة الضلالة؛ لقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[(٥)].

---

(١) انظر: علم أصول البدع لعلي حسن ص٢٤ ـ ٢٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٧.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٥٤.

(٥) رواه مسلم (٨٦٧)؛ وأبو داود (٤٦٠٧).

وأما البدعة بمعناها اللغوي فليست كلها ملازمة لوصف الضلالة.

ثالثاً: نصوص الكتاب والسُّنَّة في الحث على اتباع السُّنَّة والتحذير من البدعة:

أولاً: الآيات الآمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الآيات التي أمر الله تعالى فيها باتباع الشريعة، وملازمة طريق الأنبياء، كثيرة متنوعة، منها:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

قال القرطبي: «هذه آية عظيمة... فإنه لما نهى وأمر وحذر هنا عن اتباع غير سبيله فأمر فيها باتباع طريقه»[(١)].

فالصراط المستقيم المذكور في الآية الكريمة هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السُّنَّة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع والأهواء.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الراغب الأصفهاني: «والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله»[(٢)].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ١٣٧.

(٢) المفردات في ألفاظ القرآن ص١٥٦.

فأمر الله سبحانه وتعالى برد المتنازع فيه إلى قوله جل جلاله وإلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ ـ وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك: «ومن أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً»[١].

ولأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأن الشريعة قد كملت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتصور أن يجيء إنسان ويخترع فيها شيئاً؛ لأن الزيادة عليها تعتبر استدراكاً على الله سبحانه وتعالى وتوحي بأن الشريعة ناقصة وهذا يخالف ما جاء في كتاب الله[٢].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «**تنبيه**: يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع»[٣].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فكيف يسوغ لمسلم بعد ذلك أن يخترع شيئاً في الدين، يضاهي به شرع الله تعالى، ويضل به العباد.

* * *

---

(١) الاعتصام ٢/ ٥٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ٨/ ٢٣.

(٣) أضواء البيان ١/ ٢١٧؛ وانظر: تفسير المنار ٣/ ٢٨٤.

ثانياً: الأحاديث الآمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في النهي عن البدع والمحدثات كثيرة متنوعة، منها:

١ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**». ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»(١).

وفي رواية عند النسائي: «**وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»(٢).

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾» الآية [النساء: ١٥٣](٣).

٣ ـ وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.

فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤٦٤.

(٢) سنن النسائي ٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩؛ صحيح سنن النسائي ١/ ٣٤٦.

(٣) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٤١؛ وأحمد ٣٠٥٢؛ والنسائي ٢١٥؛ وانظر حول الحديث: كتاب السُّنَّة ص١٣؛ مشكاة المصابيح ١/ ٥٩.

وكل بدعة ضلالة»(١).

٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**(٢).

وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»**(٣).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث: **«الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»**(٤).

٥ ـ وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أحيا سُنَّة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً»**(٥).

٦ ـ وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟»**.

---

(١) رواه أبو داود، انظر: عون المعبود ١١/ ٢٣٤؛ والترمذي، تحفة الأحوذي ٧/ ٣٦٥ وقال: حسن صحيح؛ ورواه أحمد الفتح الرباني ١/ ١٨٨؛ وابن حبان، صحيح ابن حبان ١/ ١٧٨، وهو حديث صحيح صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي؛ المستدرك ١/ ٢٨٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٢٣٠؛ صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٣٧٩.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٣٨٠.

(٤) جامع العلوم والحكم ص٨١.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال البغوي: هذا حديث حسن، انظر: سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذي ١٠/ ١٠٦ ـ ١٠٧؛ سنن ابن ماجه ١/ ٧٦؛ شرح السُّنَّة ١/ ٢٣٣؛ صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤١ ـ ٤٢.

قالوا: بلى. قال: «**إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً**»[١].

٧ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسُنَّة نبيه**»[٢].

٨ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»[٣].

فهذه النصوص واضحة في التحذير من الابتداع في الدين، وبيان خطر البدعة، لذلك كان السلف يحذرون من البدع ويشنعون على أهلها، كما ستأتي نصوصهم في ذلك.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣١٥ بإسناد جيد.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. المستدرك ١/ ٢٨٤.

(٣) رواه الطبراني ٣٢٢ وإسناده حسن.

المبحث الثاني

الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع

تمهيد

خير الناس هم القرن الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والسلف الصالحون هم القدوة بعد رسول الله ﷺ في التعامل مع أهل البدع، والموقف تجاههم.

وقد تكاثرت الآثار عن السلف في التحذير من البدعة والابتداع، وبيان المنهج في التعامل مع المبتدعة، وسوف أورد هنا عدداً من هذه الآثار، ثم أبيِّن كيف نستفيد منها في واقعنا في التعامل مع أهل البدع اليوم.

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»(١).

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»(٢).

٣ ـ وعنه أيضاً قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في المدخل ص٢١٥؛ إصلاح المساجد ص١٣؛ وانظر: البدعة وأثرها السيء في الأمة ص٤٢.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٨٨؛ والبيهقي ٢١٧؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك ٢/ ٤٤٥؛ وانظر: الباعث ص١٣؛ الأمر بالاتباع ص٤٨؛ صحيح الترغيب والترهيب ص٢١.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢١٩) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي: ورواه الدارمي؛ مجمع الزوائد ١/ ١٨١؛ سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٥٨.

٤ ـ وعنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلاله»[(١)].

٥ ـ وعنه قال: «أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول»[(٢)].

٦ ـ وعنه قال: «تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق»[(٣)].

٧ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً» رواه البخاري.

قال الحافظ: «قوله: يا مشعر القراء: المراد بهم العلماء بالقرآن والسُّنَّة العبّاد»[(٤)].

٨ ـ وعنه رضي الله عنه قال: «كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القرّاء خذوا طريق من كان قبلكم»[(٥)].

٩ ـ وقال أبو العالية: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا»[(٦)].

---

(١) رواه أبو خيثم في كتاب العلم، وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح، كتاب العلم ص١٢٢.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١٨٤؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص٥٩ ـ ٦٠.

(٣) رواه الدارمي وعبد الرزاق في المصنف، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١١٥؛ المصنف لعبد الرزاق ١١/٢٥٢؛ جامع بيان العلم وفضله ١/١٥٢؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص٥٩.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٧/ ١٥.

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ٢/ ١١٥؛ ومحمد بن نصر في السُّنَّة ص١٥٤، وذكره أبو شامة في الباعث وعزاه لأبي داود، وقال الشيخ الألباني: لم أجده في السنن، انظر: الباعث ص١٥ ـ ١٦؛ الاتباع ص٦٢؛ إصلاح المساجد ص١٢؛ السلسلة الضعيفة ١/ ٣٧٤.

(٦) ذكره ابن الجوزي والسيوطي ورواه معمر في الجامع؛ انظر: تلبيس إبليس ص٨؛ الأمر بالاتباع ص٤٩؛ المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٣٦٧.

١٠ ـ وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السُّنَّة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»(١).

١١ ـ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «سَنَّ رسول الله وولاة الأمر من بعده سُنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»(٢).

قال الشاطبي: «وبحق وكان يعجبهم فإنه كلام مختصر جمع أصولاً حسنة من السُّنَّة منها ما نحن فيه لأن قوله: ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. قطع لمادة الابتداع جملة. وقوله: من عمل بها فهو مهتد. مدح لمتبع السُّنَّة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]»(٣).

١٢ ـ وقال عمر بن عبد العزيز يوصي رجلاً: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سُنَّته... فعليك بلزوم سُنَّته فإنها لك بإذن الله عصمة...»(٤).

١٣ ـ وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»(٥).

---

(١) ذكره ابن الجوزي والسيوطي، انظر: تلبيس إبليس ص٩؛ الأمر بالاتباع ص٤٩.
(٢) رواه ابن عبد البر، وذكره الشاطبي في الاعتصام وقال: إنه كان يعجب مالكاً جداً، جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٨٧؛ الاعتصام ١/ ٨٧.
(٣) الاعتصام ١/ ٨٧.
(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ١٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٣.
(٥) ذكره الشاطبي والسيوطي؛ الاعتصام ١/ ٨٣؛ الأمر بالاتباع ص١٥٢.

١٤ ـ وعن عثمان الأزدي قال: «دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني، فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[١].

فهذه نصوص السلف رحمهم الله في الأمر بلزوم السُّنَّة واجتناب البدعة.

أما ما يتعلق بموقفهم من مناظرة أهل البدع، فسيأتي الكلام عليه لاحقاً[٢].

---

(١) ذكره الخطيب في الفقيه والمتفقه، والبغوي في شرح السنه، وأبو شامة في الباعث؛ والسيوطي في الأمر بالاتباع، الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٣؛ شرح السُّنَّة ١/ ٢١٤؛ الباعث ص١٥؛ الأمر بالاتباع ص٦١.

(٢) انظر المبحث: الرابع، في الفصل: الأول.

المبحث الثالث

معنى المناظرة، وأدلتها

تمهيد

اختلاف الآراء وتعددها، من طبيعة البشر، وليس هذا الاختلاف مختصاً بأمور الشريعة ومسائل الدين، كلا، بل هو عام في كل العلوم.

فكان أهل كل فن يتناظرون، في مجالسهم، ومؤلفاتهم، فيتفقون بعدها، أو يبقون على اختلافهم، ولا يزال مسائل الخلاف والنقاش والمناظرة موجودة إلى زماننا هذا، بل صارت اليوم أكثر توسعاً وتأثيراً من خلال وسائل الإعلام الحديثة.

وسوف أسوق هنا تعريفات للمناظرة، وأبيِّن شيئاً من آدابها قبل الخوض في المناظرة عبر القنوات الفضائية.

معنى المناظرة:

من أحسن تعريفات المناظرة ما اختاره إمام الحرمين الجويني عندما تكلم عن تعريف الجدل، وهو: إظهار المتنازعَيْن مقتضى نَظْرَتِهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة[(١)] . .

وأشار رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه إلى أنه لا فرق عنده بين الجدل والجدال والمناظرة، وهذا يعني صلاحية هذا التعريف للمناظرة كذلك.

وبذلك يظهر من معنى المناظرة أنها مختصة بتراجع الكلام مع خصم لا

---

(١) الكافية في الجدل ١٩ ـ ٢١.

يرى رأيك على سبيل إثبات صواب قولك وبطلان قوله، فيكون المراد منها الظهور والغلبة، ولا يبحث فيها فيما إذا كان قوله صواباً أم فيه شيء من الصواب ليتبعه المناظر، وإنما كل طرف من أطراف المناظرة يبتغي العلو على مناظريه بالحجة، ويريد أن يقطع حجج خصومه.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، في معرض كلام له عن المناظرة: «وهي في الاصطلاح ـ أي: المناظرة ـ: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»(١).

وقال الزَّبيدي في تاج العروس: «والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته»(٢).

شروط المناظرة:

الأول: أن يجمع بين خصمين متضادين.

والثاني: أن يأتي كل خصم في نصرته لنفسه بأدلة ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه.

والثالث: أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً لطيفاً.

بسم الله القائل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ولكثرة الاختلاف بين الناس وجدت المناظرات لإقرار الحق والوصول إليه.

وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأناً؛ لأنه السبيل الى معرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من القويم.

---

(١) آداب البحث والمناظرة: ٢/ ٣

(٢) تاج العروس مادة (ن ظ ر) ٣/ ٥٧٥.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء: أن «الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي ﷺ إنما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن.. وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يوصف عند الجماعة ـ أهل السُّنَّة ـ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ..»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «.. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية..»(٢).

دليل المناظرة من القرآن:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير في تفسيرها: «وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب..»(٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ

---

(١) جامع بيان العلم ٢/١١٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/١٧٢ ـ ١٧٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٣٢.

أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ [المائدة: ١٨].

دليل المناظرة من السُّنَّة:

قال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»(١).

وهذا يتضمن الأمر بالمناظرة وأنها نوع من الجهاد.

حكم تعلم فنّ المناظرة:

أما حكم إقامة المناظرة، والمشاركة فيها، فهو يختلف باختلاف الحالات الّتي تجري فيها هذه المناظرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجدال قد يكون واجباً أو مستحباً كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [الرعد: ١٢٥] وقد يكون الجدال محرماً في الحج وغيره؛ كالجدال بغير علم وكالجدال في الحق بعد ما تبين»(٢).

وقال الإمام النووي: «اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ وقال الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾...»(٣).

والمناظرة عموماً أمر مندوب إليه إذا كان فيها مصلحة، إلا أنها قد تكون واجبةً نصرة للحقّ، بإقامة الحجج العلميّة، والبراهين القاطعة، وحلّ المشكلات في الدّين، لتندفع الشّبهات، وتصفو الاعتقادات، إذا كانت البدعة ظاهرة وأهلها لهم في الناس تأثير، وكان المناظر من أهل السُّنَّة له قدرة على دحض البدعة والرد على الشبهات.

---

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٧/٢٦.

(٣) الأذكار ص٥٣٠ ـ ٥٣١.

بل قد تكون فرض عين، إذا لم يوجد سوى عالم واحد وكان أهلاً للمناظرة في الحالات الّتي تجب فيها، وتجب أيضاً إذا عيّن الحاكم عالماً لمناظرة أهل الباطل وكان هذا العالم أهلاً لذلك.

المبحث الرابع

موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع

تمهيد

تقدم سياق أقوال السلف في التحذير من الابتداع في الدين، والتحذير من الأهواء والمحدثات، ومن ذلك ما جاء عن معاوية بن قرة؛ أن سالم بن عبد الله حدثه عن ابن عمر قال: «ما فرحتُ بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأنّ قلبي لم يدخله شيءٌ من هذه الأهواء»[١].

وسأل المرُّوذِيُّ الإمامَ أحمد بن حنبل: من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على خير؟!

فقال له أحمد: «اسكت، من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على الخير كله»[٢].

وليس مشروعاً سماع شبهات أهل البدع، أو مجالستهم، أو قراءة كتبهم، إلا لعالم ممتلئ القلب بالإيمان، ضليعاً بالعلم، كما قال النبي ﷺ: **«من سمع بالدجال فلْيَنأَ عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات»**[٣].

قال الإمام ابن بطة معلِّقاً على هذا الحديث: «هذا قول رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، فاللهَ الله معاشر المسلمين، لا يحملنَّ أحداً منكم

---

(١) اللالكائي ١/ ١٣٠.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٨؛ وأبو داود ٥٠١؛ والحاكم ٢/ ٤٥١.

حسنُ ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول أُداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجَرَب، وأحرق للقلوب من اللهب.

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبُّونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم»(١).

لذلك كانوا يتجنبون مجالسة أهل البدع، أو سماع شبهاتهم، خشية أن يتأثروا بشيء من مذاهبهم.

ومن ذلك ما ورد عن محمد بن سيرين أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء.

فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟!

قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟

قال: لا، تقومان عني وإلا قمتُ.

فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرآ عليك آية؟

قال: «إني كرهت أن يقرآ آيةً فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي»(٢).

وهذا يدل على شدة حذرهم من قليل البدع، فكيف بكثيرها.

وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ - إلى قوله - ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت**

---

(١) الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧٠.

(٢) الشريعة للآجري ١/ ٤٤١، ٥/ ٢٥٤٥؛ الإبانة الكبرى ٢/ ٤٤٥، و٤٥٨ بنحوه.

الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذروهم»[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: باب شرك فُتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم، فيجري شركهم على أيديكم[(٢)].

وعن أبي ثور قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: «أما أنا فإني على بينة من ديني، وأما أنت فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه»[(٣)].

وعن الحسن أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد إني أريد أن أخاصمك (يعني أناظرك في شيء)، فقال الحسن: إليك عني، فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه، وإذا كان الرجل ذا جدل تكلفنا له في الرد بالعقل والمنطق ولا نقيم للقرآن والسُّنَّة وزناً؟[(٤)].

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨][(٥)].

وقال موفق الدين بن قدامة المقدسي: «ومن السُّنَّة: هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب

---

(١) البخاري (٤٥٤٧)؛ مسلم (٢٦٦٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي ٤/ ٦٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٩؛ حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤، ٩/ ١١٢.

(٤) اللالكائي ١/ ١٢٨.

(٥) العقيدة السلفية ص١٠٠.

المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة»[١].

قال اللالكائي: «فما جُني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى الغرماء بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة! وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج! وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقراناً، وأخداناً، وعلى المداهنة خلاناً وإخواناً، بعد أن كانوا في الله أعداء وأضداداً، وفي الهجرة في الله أعواناً يكفرونهم في وجوههم عياناً ويلعنونهم جهاراً، وشتان ما بين المنزلتين وهيهات ما بين المقامين»[٢].

قال الغزالي: «وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً؛ فقلما ينفع معه الكلام، فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه، وأحال بالقصور على نفسه، وقال: إن عند غيره جواباً ما، وهو عار عنه، وإنما هو ملبس عليه بقوة المجادلة»[٣].

وقد بوّب الآجُرِّيُّ في الشريعة عدة أبواب تدل على هذا الأصل من مجانبة المبتدعة والحذر من الاختلاط بهم والجلوس معهم فمن ذلك:

«باب الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه رضي الله عنهم، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسُّنَّة وقول الصحابة رضي الله عنهم»[٤].

وبوّب اللالكائي: «سياق ما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل

---

(١) متن لمعة الاعتقاد ص١١١.

(٢) اللالكائي ١/١٩.

(٣) إحياء علوم الدين ١/٤٧.

(٤) الشريعة ١/٣٩٨.

البدع وجدالهم والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة»[١].

وبعد سياق هذه النصوص، أقول: هذا الرأي من السلف ليس قاعدة مطَّرِدة منهم في كل المواقف والأحوال، بل ينبغي على الناظر أن يتلمّس بواعثهم على هذه الآراء والمواقف، وينظر أيضاً في مواقفهم الأخرى التي ثبتت عنهم في مناظرتهم وكلامهم مع أهل البدع، ثم يقيسها بواقعنا ليعرف إمكانية تطبيقها اليوم.

فقد ثبت مناظرة بعض السلف لأشخاص من رؤوس المبتدعة، كما في المناظرة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الكناني المكي الشافعي مع أحد أكبر شيوخ المعتزلة بشر المريسي..

وذلك في زمن الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ)، وكانت المناظرة لإبطال رأي المعتزلة في القرآن، إذ زعموا أنه مخلوق من جملة المخلوقات لم يتكلم الله به!

وهذا رأي باطل، فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى تكلم به حقيقة غير مخلوق منه بدأ واليه يعود، نزل به الروح الأمين على سيد البشر أجمعين، وهذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في القرآن..

وقد استطاع المعتزلة الوصول للخليفة المأمون والتأثير عليه بمذهبهم، وجعلوه يمتحن العلماء بسؤالهم عن قولهم ومعتقدهم في القرآن الكريم.. ووقعت على المسلمين فتنة ومحنة عظيمة.

فكانت عند ذلك المناظرة العلنية المشهورة بين الإمام الكناني، وبشر المريسي.

فهذه مواقف متفاوتة لأهل العلم في التعامل مع المبتدعة.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ:

---

(١) اللالكائي ١/ ١١٤.

• أن الذين كرهوا مناظرة المبتدعة أو سماع شبهاتهم، إنما كرهوا ذلك لأنهم رأوا فيه إعلاء لشأن القائل بالبدعة، وإظهاراً لبدعته، فإنك متى ناظرته أقمت له وزناً، وزاد هو في الدفاع عن الباطل الذي يحمله.

أما إذا تُرك المبتدع لا يُكلم، ولا يُجالس، ولا يُناظر، ماتت بدعته ولم تلق رواجاً.

• وظروف المناظرات وأسبابها تختلف من زمان إلى زمان، ومن شخص لآخر، ومن بلد لغيره، ومن موضوع لغيره، ومن فرقة مبتدعة لغيرها، وهذا سبب اختلاف آراء أئمة السلف رحمهم الله في مناظرة أهل البدع، من محذر عن ذلك، إلى حاثّ عليه، وذلك أنهم كانوا أهل حكمة وعلم، وورع وتقوى، يقدرون الأمور بقدرها، ويتأملون الظروف المحيطة، والمصالح والمفاسد.

• ومسألة اتباع السلف في مواقفهم وآرائهم تتعلّق بسَعة العقول والأفهام، وتصوُّر الموضوع من كل جوانبه، وقد يتبنى البعض رأي رجل من السلف دون تَفَقُّهٍ لمنهجه وظروف الرأي الذي تكلم به أو أفتى، ولربما تمسَّك بظاهر بعض أقوالهم أو أفعالهم ونزلها على ظروف زماننا دون تأمل، مع أن العاقل الحكيم يجزم أنهم ـ ربما ـ لو عاشوا زماننا لرأوا غير ما رأوه وقالوا فيه بغير ما قالوه في ظروف زمانهم، ولكنَّ الله تعالى قسَّم بين الناس الفهوم والعقول كما قسَّم بينهم المعايش والأرزاق.

• وهذه الآراء والمواقف تختلف باختلاف العصور والأحوال، ومما يناسب أن يورد هنا، ما ذكره الفقهاء: أن الإمام ابن أبي زيد القيرواني صاحب (الرسالة) المعروفة في المذهب المالكي، والتي شرحها كثيرون. هذا الإمام زاره بعض معاصريه من الفقهاء، فوجدوا في داره كلباً للحراسة، فقالوا له: إن مالكاً كان يكره اقتناء الكلاب! فقال لهم: لو أدرك مالك زمننا لاتخذ أسداً ضارياً[١]. يعني: لقد تغيّرت أحوال الناس، ولم تَعُد حاجات الناس في

(١) راجع القصة في: منح الجليل شرح مختصر خليل، باب في البيع ٩/ ٣٦٩؛ وانظر: شرح العلّامة زروق على الرسالة ٢/ ٤٢٤.

زمن أبي زيد القيرواني كما كانت في زمن مالك، فلجأ الناس إلى الكلاب لتحرسهم من اللصوص وقُطّاع الطرق، فالحاجات إذن والأحوال والآراء والأشخاص كلها تتغير، وإذا تغيّرت تغير الحكم المبنى عليها.

• وبذلك نستطيع التوفيق بين ما ورد من نهي السلف عن مناظرة أهل البدع، وبين ما ورد عنهم في حوادث كثيرة من حكاية مناظرات طويلة ـ أحياناً ـ مع أهل البدع.

وسيأتي تفصيل ذلك في المباحث اللاحقة عند الكلام عن ضوابط المناظرات، ومنافعها وأضرارها(١).

---

(١) انظر المبحث: الأول والثاني، من الفصل الثاني.

الفصل الثاني

المناظرة في القنوات الفضائية

المبحث الأول

مصالح مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

أضحت القنوات الفضائية اليوم، سلاحاً صارماً، ومؤثراً لا يستهان به في صياغة العقول والقرارات، وقد كشفت إحصائية أجريت مؤخراً عن انطلاق ١٠٣ قنوات تليفزيونية فضائية عربية في عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م وحده فيما وصل عدد القنوات العراقية التي انطلقت في الفترة بين عامي ٢٠٠٣م و٢٠٠٨م إلى ٤٣ قناة متنوعة[(١)].

ولذلك استعملها أصحاب الفكر والأديان في بث معتقداتهم، وآرائهم، وعقد المناظرات والحوارات بينهم، ومن ذلك ما بثته قناة «المستقلة»[(٢)] من مناظرات بين السُّنَّة والشيعة، وكانت مناظرات علنية يراها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والعربي والأعجمي، بل يراها جميع أهل الأديان.

وكانت الأفكار تطرح وتناقش بكل صراحة، ويصرح كل فريق بمذهبه وعقيدته، مستدلاً بما بين يديه من حجج.

---

(١) جريدة الاقتصادية، الجمعة ١٢ محرم ١٤٣٠هـ. الموافق ٩ يناير ٢٠٠٩م العدد (٥٥٦٩).

(٢) قناة المستقلة: قناة فضائية أنشأها د. محمد الهاشمي، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مقرها بريطانيا - لندن، تُعنى بالحوارات الثقافية، والمناظرات العلمية، في شتى المواضيع، الدينية، والسياسية، والثقافية، وغيرها، ومن أشهر ما نشر فيها من مناظرات، المناظرات التي حصلت بين السُّنَّة والشيعة، شارك فيها عدد من علماء أهل السُّنَّة والجماعة، وعدد من الطائفة الشيعية، وكان لهذه المناظرات تأثير كبير، خاصة على عامة الناس من الفريقين.

والمناظرات في الغالب لا تخلو من فوائد، قال الإمام المزني: «لا تعدو المناظرة إحدى ثلاث:

إما تثبيت لما في يديه.

أو انتقال من خطأ كان عليه.

أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك.

قال: وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردها؟»[(١)].

وحديثي هنا عن المناظرات التي تناقش مواضيع جادة، بأساليب علمية، وحوار مرتب منظم، ويمثل المشاركون فيها فرقاً ومذاهب ينتسبون إليها، لها أتباع، وأصول، وفكر، ومؤلفات، وسيكون كلامي منصباً في أغلبه على المناظرات بين السُّنَّة والشيعة التي شاركت فيها، ولمست أثرها.

وقد كان لهذه المناظرات العلنية، عدد من المصالح، منها:

- رفع مستوى الوعي عند جماهير الناس وعامتهم، وجذب اهتماماتهم بأسلوب مناسب، وتحريك أذهانهم، وشحذ عقولهم.
- أسلوب المناظرة المبني على السؤال الجواب، من أنجع الأساليب في التعليم، وتناقل المعلومات، وهذا ما يقع في الحوارات بين المتناظرين.
- إبراز العلماء، وتعريف عامة الناس بهم، ولفت النظر إلى برامجهم الأخرى ليتابعها الناس ويستفيدوا منها[(٢)].
- تعريف الناس بكتب أهل العلم، وربطهم بالبحث والمراجعة.
- كشف مخططات أهل البدع، وإظهار عوار معتقداتهم، وهتك أستارهم، وفضح أسرارهم.
- ومن ذلك أن المناظرين الشيعة كان خطابهم موجهاً للسنة فقط،

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٣٢.

(٢) وهذه إيجابية فيما يخص العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة، وهي مفسدة فيما يخص المبتدعة، وذلك أنهم إذا عرفهم عامة الناس وتابعوا برامجهم تأثروا بفكرهم، وسيأتي بيان لذلك في المبحث القادم.

وحاولوا أن يبرؤوا أنفسهم من المعائب، وجرّهم ذلك إلى إنكار عدد من عقائدهم المشهورة المتفق عليها عندهم، والتهرب من حقيقة مذهبهم، ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن كثيراً من متابعيهم هم من طائفة الشيعة، فصاروا متناقضين، ولا شك أن هذه التناقضات سوف تؤتي أكلها في قادم الأيام.

• فهم حرصوا على مخاطبة عوام أهل السُّنَّة خاصة، والعالم أجمع، لكسب أتباع جدد، وتحسين صورتهم أمام الناس، ولم يراعوا أن الشيعي يسمع ويرى مشايخه ينفون أصول مذهبهم الذي يقرؤه في كتبهم ويسمعه في مجالسهم؛ كإنكارهم القول بسب الصحابة رضي الله عنهم، أو تكفيرهم، وإنكارهم قولهم بتحريف القرآن.. وغير ذلك، مع أن هذه حقائق وعقائد شيعية ثابتة تحفظها نساؤهم وأطفالهم قبل كبارهم وعلمائهم، فيقع عند الشيعي شك في أصول مذهبه وعلمائه.

• وكذلك التشكيك في كتب ومراجع الشيعة المعتمدة عندهم، مثل كتاب «الكافي» وغيره، وهذا بيِّن واضح أثناء المناظرات؛ لأنه كلما أورد أحد المناظرين من أهل السُّنَّة حجة على الشيعة واستدل بأقوالهم المعتمدة وقرأ على الملأ نصوصاً من كتبهم، كان جواب مناظري الشيعة أن هذا غير صحيح وأن الكتاب غير معتمد.. فيقع عامة الشيعة في اضطراب بين قبول ما في كتبهم أو رده.

• أن عوام الشيعة ومثقفيهم اكتشفوا فساد معتقدهم، وضلال ما تربوا عليه من مذهب التشيع، وعلموا أن علماءهم عند المناظرة والمكاشفة مع الحق، لا يستطيع أحدهم البوح بحقيقة مذهبه على الملأ، بل تتضارب أقواله ويفقد سيطرته على نفسه، ويضطرب كلامه، وتتناقض آراؤه، وينتهي إلى حيرة هو وأتباعه.

ولم يسبق - فيما أعلم - أنه حصل فضح لعقائد الشيعة بمثل هذه الشمولية والانتشار، كما وقع في قناة المستقلة[١].

---

(١) لقراءة بيانات أصدرها رؤوس من الشيعة، انظر: =

• هذه المناظرات تفيد العوام الذين لا يقرؤون، كما تفيد المثقف والعالم، خاصة إذا كانت بأسلوب واضح، وعبارة سهلة[١].

• فضح جرأة أعداد من رؤوس الشيعة على الله تعالى، فضلاً عن جرأتهم على الصالحين من عباده؛ كالأنبياء وأتباعهم من أصحابهم الكرام.

ومن الأمثلة على ذلك قول أحد المناظرين من الشيعة: إن الرب الذي أمات أبا سفيان على الإسلام وأمات أبا طالب على الكفر هذا رب لا نريده!! عياذاً بالله من ذلك[٢]..

وبهذا يظهر أن لهذه المناظرات فوائد لا يمكن تغافلها، وتزداد هذه الفوائد والمنافع بهاءً إذا لوحظ آداب وشروط مهمة، سيأتي تفصيلها[٣].

فهذه جملة من المصالح، التي إن تحققت، نفعت هذه المناظرات، وحققت ما يرجى منها من مصالح، بإذن الله.

= ١ ـ وكالة الأنباء الشيعية بيان لمنير الخباز.
http://ebaa.net/khaber/2203/01/04/khabero4.htm.
٢ ـ بيان رفيق الموسوي.
http://www.ansarh.ws/forum/showthread.php?p=133757.
٣ ـ بيان محمد سعيد الطباطبائي الحكيم.
http://www.aldair.net/forum/showthread.php?t=46829.
٤ ـ بيان آية الله الشيرازي.
http://www.altwafoq.net/v2/art13938. html.

(١) انظر للاستزادة ومشاهدة أمثلة لما ذكرنا موقع فيصل نور:
http://www.fnoor.com/fn0237.htm.

(٢) انظر مقطع فيديو في ذلك:
http://www.mashahd.net/view_video.php?viewkey=d368c6cd90bc0999c207.

(٣) انظر المبحث: الثالث الفصل: الثاني.

المبحث الثاني

مفاسد مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

مع تعدد مصالح المناظرات العلنية مع المبتدعة، وكثرة فوائدها، وكبير تأثيرها، وما لمسته أنا وغيري ـ ممن شاركوا في المناظرات ـ من نفعها للإسلام، وتقوية أهله، ودحض الباطل، وكشف الشبهات، إلا أنها لا تخلو من مفاسد، ربما كانت بسبب عدم انضباط المتناظرين، أو تحليهم بآداب المناظرة، وتنبيهنا على المفاسد هنا يعني الحرص على تجنبها والسعي في إصلاحها، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

ومن هذه المفاسد:

• إشهار رموز أهل البدع، وإظهارهم، وربما كان أحدهم متحدثاً فصيحاً، أو أديباً بليغاً، فيعجب به عوام الناس، ويكون له عندهم شأن، سواء عوام أهل السُّنَّة أو الشيعة.

وهذا يمكن تجنبه أو تقليله بأن يكون مناظره من أهل السُّنَّة، أحسن منه منطقاً، وأفصح بياناً، فيسقطه من أعين الناظرين، ويقلل شأنه عند المتابعين.

• ومنها: إظهار البدع المغمورة، والشبهات المطمورة، ونفض الغبار عنها، وإثارتها من جديد.

وهذا يمكن تجنبه بتحديد موضوع النقاش في نقاط محددة، وشبهات مشهورة، معلومة عند أكثر الناس، يحرص المناظر من أهل السُّنَّة أن لا

يخرج النقاش عنها، لئلا يستفيد المبتدع من المناظرة في تمرير أفكار وشبهات لا تعلق لها بموضوع المناظرة.

• ومن المفاسد التي ذكرها بعضهم: ما نلحظه من استكبار أعداد من المبتدعة وإعراضهم عن الاستجابة للنصح الذي يسمعونه ويرونه في هذه المناظرات، وهذا حال عدد من أهل البدع قديماً وحديثاً.

ومن أمثلة ذلك مناظرة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي مع الرافضة، فقد جرت بينه وبين رأس من رؤوس الرافضة عبد المحسن الكاظمي مناظرة في حضرة ثلاثمائة رافضي، واستعان الرافضي بعشرة من شيعته؛ «فقطعهم الهلالي»[(١)]، ومع ذلك لم يزدد رؤوسهم ـ خاصة ـ إلا فجوراً، يدل على ذلك قول أحد الرافضة في مؤلف له: «كان الشيخ تقي الدين الهلالي قد أجرى حواراً أو مناظرة مع بعض خطباء الشيعة ولم أعرف من هم الشيعة الذين ناظرهم، ولم أكن أدري ما السبب الذي جعل تقي الدين الهلالي يستنكف عن مناظرة رجال الشيعة مثل السيد الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد الصدر، والسيد الشيرازي، وعشرات العلماء والمراجع المعاصرين له في العراق ولبنان وقم... وعجبت كيف راح يبحث في القرى عن الأميين، وهؤلاء موجودون طوع البنان»[(٢)].

فانظر كيف بحث هذا الرافضي عن ملجئ يفر إليه من الإقرار للهلالي بالحق والغلبة على الرافضة.

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه مفسدة قليلة بجانب المصالح الكبيرة المتحققة من المناظرات، وأيضاً قد يكون بعض رؤوس المبتدعة تابوا ورجعوا عن بدعتهم دون أن يظهروا ذلك لأقوامهم، لأسباب لا تخفى.

• ومن مفاسد هذه المناظرات، ما يقع ـ أحياناً ـ من تبادل ألفاظ السب والشتائم، وما شابهها مما لا يليق، وهذا وإن كان قليلاً، إلا أنه موجود في بعض المناظرات.

---

(١) انظرها في: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» للهلالي ص١٥٠ ـ ١٨٠.

(٢) قال ذلك إدريس الحسيني، في كتابه «لقد شيعني الحسين» ص٣٠.

ويمكن تجنب ذلك، بحسن اختيار المتناظرين ابتداءً، وأن يكون المذيع أو مدير الحوار حازماً، حسن الإدارة للحوار، قادراً على التصرف وعلاج الأمر في مثل هذه المواقف.

وبهذا يتبين أن منافع هذه المناظرات، ومصالحها أكثر من مفاسدها، بشرط الالتزام بما تقدم، والاهتمام أيضاً بالتحلي بصفات المناظر، وسيأتي تفصيل ذلك[1].

---

(١) انظر المبحث القادم.

المبحث الثالث

آداب المناظرة

تمهيد

تعتبر المناظرة وسيلة لا يستهان بها في دعوة الناس، وحماية العقيدة، ودحض أهل البدع، وتحذير الناس منهم، إلا أن لها آداباً إذا تحلى بها المتناظران، تحقق المقصود من المناظرة.

ومن هذه الآداب:

١ ـ إخلاص النية لله:

والإخلاص هو شرط قبول العمل، قال الإمام المزني: «وحق المناظرة أن يراد بها الله ﷻ، وأن يقبل منها ما يتبين»(١).

وأن يجعل المناظر نيته إظهار الحق وبعيداً عن الرياء والمباهاة، قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والعزم على الانقياد للحق إذا تبين له، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

ويعترف بخطئه إذا تبين له، قال الامام الغزالي في شروط المناظرة: أن يكون كل طرف من طرفي المناظرة في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه. . واعلم أن المناظرة لقصد

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٣٢.

الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدق عند الناس وقصد المباهاة هي: منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها للفواحش من الكبر والعجب والحسد وحب الجاه وغير ذلك كنسب شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا، والقتل والسرقة[(١)].

٢ ـ أن يكون الموضوع المحدد للمناظرة، نافعاً لسامعه، مفيداً، يستحق أن يبذل فيه الجهد، والبعد عن المناظرة ولا حوار في المواضيع التافهة قليلة الفائدة، قال الإمام مالك: «أدركت أهل هذا البلد ـ يعني المدينة ـ وهم يكرهون المناظرة والجدل إلا فيما تحته عمل»[(٢)].

٣ ـ العلم بالموضوع الذي يناظر فيه:

فيشترط العلم لمن يناظر ويعلم نقاط القوة والضعف لدى الخصم والثوابت والفروع.

قال تعالى: ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال شيخ الإسلام: «وكان السلف ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة»[(٣)].

٤ ـ أن يحتج المناظر بالكتب التي يعتمدها خصمه.

وذلك حتى تقوم الحجة على الخصم، ويقبل ما يورده خصمه عليه، كما بيّن ربنا ﷻ هذا المنهج في كتابه فقال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٠١.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٧٣.

فإن كان يهودياً تحتج عليه بالكتب التي يعتمدها في دينه، مما يوافق ما تحتج به عليه، وإن كان نصرانياً فكذلك، وإن كان شيعياً ألزمته بما ورد في كتبهم المعتمدة عندهم[1].

٥ ـ حدد موضوع المناظرة، فلا تجعل المناظرة مفتوحة تناقش فيها كل نقاط الاختلاف.

وذلك حتى لا تتشعب المواضيع، ويضطرب ذهن السامع الباحث عن الفائدة من المناظرة، فتحدد النقاط التي يحصل النقاش فيها، وتكتب، ولا يخرج عنها الحديث والحوار.

٦ ـ ركز على موضوع المناظرة وليس شخصية من يناظرك.

وهذا أمر مهم، لتتحقق الفائدة من المناظرة، ولا تخرج عن موضوعها الأساسي، وهذه أخلاق الكبار، أما من ينشغل بنقاش أمور تتعلق بشخصية من يناظره، ليحرج خصمه، أو يشتت ذهنه، فهذا يضيع فائدة المناظرة، وقد يسقط من عين الجمهور المتابع.

٧ ـ لا تسمح لخصمك بالانتقال عن الموضوع الأصلي للمناظرة، إلا إذا انتهى النقاش فيه.

وذلك أن بعض المناظرين، إذا شعر بهشاشة رأيه، وسقوط حجته، وضيق الزاوية التي حصر فيها، حاول أن يخرج من الموقف بالانتقال إلى موضوع آخر، وهذا ما يسميه العلماء «حيده» عن المناظرة، وهي فعل الضعفاء.

وانظر إلى ما ذكره الله تعالى لنا في القرآن، في: مناظرة موسى ﷺ مع فرعون لما أراد فرعون تغيير موضوع المناظرة واستفزاز موسى إلى موضوع آخر، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) مثل كتاب «الاستبصار» و«الصحيفة السجادية» و«الكافي» و«بحار الأنوار» و«كتاب الجفر الجامع» و«من لا يحضره الفقيه» و«معاني الأخبار» و«المجالس» و«علل الشرائع» و«تحفة العقول» وغيرها.

بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣ ـ ٣٣].

قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي في معرض كلامه عن الجدل: «فأما آدابه التي إذا استعملها الخصم وصل بغيته، وإن لم يستعملها كثر غلطه واضطرب عليه أمره: تحديد السؤال والجواب، وترك المداخلة(١)، والإمهال إلى أن يأتي الخصم على آخر كلامه، وينتظم آخر معانيه، والإقبال على خصمه والإصغاء إليه دون غيره، وأن لا يخرج من مسألة إلى أخرى حتى يستوفي الكلام في الأولى، واستعمال الحسن الجميل دون التشنيع والتقبيح، وحفظ المقول، لئلا تجري مناكرة لما قيل، أو دعوى ما لم يقل، ولا يغير كلامه بما يحيل المعنى، ولا يلغو في نوبته، لأن ذلك يعمي عين البصيرة ويكسر حدة الخاطر»(٢).

وانظر كذلك إلى نبي الله نوح ﷺ في: مناظرته مع قومه، وهم يغيرون الموضوع، ويحاولون استفزازه باتهامه في شخصه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٢].

٨ ـ أحسن اختيار من تناظر.

ارفع نفسك عن مناظرة البطالين الذين لا هم لأحدهم إلا إضاعة الوقت في المناظرات، وكثرة الحوارات، ولا يعود عن باطله وإن تبين له الحق، كما

---

(١) يعني مقاطعة المتحدث.

(٢) كتاب الجدل لأبي الوفاء بن عقيل ص٢٤.

قال ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٩ ـ ولا تناظر من تهابه عند الحوار.

وذلك أن المرء إذا ناظر من يهابه، كأن يكون شيخاً له، أو عالماً له أتباعه، أو حاد العبارة شديد الكلام، فهنا إن كان خصمه أقل منه، فقد يرتج عليه في المناظرة، ويتشتت ذهنه، وتضيع منه الحجج.

ويمكن أن يستأنس هنا بقوله ﷺ: «**رحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد إذ قال:** ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] **فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه**»(١).

١٠ ـ إن كنت ناقلاً فاحرص على صحة النقل، وإن كنت مدَّعياً فأورد الدليل.

وذلك أنه ولا يحسن بالمرء الاستدلال بدليل ضعيف، أو حكاية أثر أو قول غير ثابت، فإن ذلك يهدم بناءه، ويضعف حجته، ويمكن منه خصمه.

وإذا الدعاوي لم تقم بدليلها بالنص فهي على السفاه دليل

١١ ـ لا تلتفت أثناء المناظرة إلى من يحاول إثارة الفتنة أو الشغب من جمهور الحاضرين، أو من المناظرين الآخرين، بل ركز فكرك واجمع حجتك، لحوار نظيرك، ولا تلتفت إلى الحاضرين غيره، ولا تنشغل بهم سواء مدحوك أو ذموك.

ومن لطائف ما أورده أهل الأدب في ذلك:

أنه اجتمع متكلمان، فقال أحدهما للآخر:

١٢ ـ هل لك في المناظرة؟

فقال الآخر: نعم، على شرائط:

- ألّا تغضب
- ولا تعجب

---

(١) رواه الترمذي (ح٤٢٥)؛ وأصله في البخاري (ح١٢٥٤).

- ولا تشغب
- ولا تحكم
- ولا تُقبل على غيري وأنا أكلمك
- ولا تجعل الدعوى دليلاً
- ولا تجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلّا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي.
- وعلى أن تؤثر التصادق.
- وتنقاد للتعارف.
- وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته[(١)].

١٣ ـ الإنصات التام للخصم وعدم مقاطعته.

فإنك إذا لم تنصت لخصمك فلن ينصت لك، وعندها ما الجدوى من المناظرة؟

ولنا في رسول الله ﷺ، أسوه حسنة، فإنه لما أتى عتبة إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال عتبة: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى، بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى!

أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون

---

(١) الراغب الأصفهاني، في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ص٢١٥.

أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً.

والنبي ﷺ ينصت إليه بهدوء، لم يقاطعه، ولم يعترض عليه، حتى إذا انتهى عتبة من كلامه، قال له رسول الله ﷺ بكل أدب: **أفرغت؟**

قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾، فقال عتبة: حسبك[١].

١٢ ـ كن عادلاً، ولا تنكر الحق في كلام خصمك، حتى وإن كان أكثر كلامه باطلاً.

وتأمل فيما حكاه الله تعالى عن نبي الله موسى ﷺ، في حواره مع فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ [الشعراء: ١٨ ـ ٢٢].

١٣ ـ أن لا يستأثر أحد المتناظرين بالكلام، بل يقسم بينهما بالعدل.

قال ابن عقيل: «وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستَدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلُّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه»[٢].

١٤ ـ لا تستعجل بالرد على الخصم إلا بعد الفهم التام لما قال، ولا تخجل من طلب التوضيح أو التكرار عند الحاجة إلى ذلك.

وذلك أن «المستدلّ إذا بيّن دعواه بدليل، فإن خفي على الخصم مفهوم

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ـ ٦/٢٢، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ورجاله ثقات.

(٢) فن الجدل ص٣٤.

كلامه لإجمال أو غرابة فيما استعمل استفسره، وعلى المستدلّ بيان مراده عند الاستفسار، وإلّا يبقى مجهولاً فلا تمكن المناظرة»[(١)].

ولا تستعجل بالرد على الشبهة، «ولا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم عنه، فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم فإن الجواب قبل الفهم حُمق»[(٢)].

١٥ ـ تخير الألفاظ الفصيحة الواضحة، وتجنب العامية والكلمات غير المفهومة أو الألفاظ التي تحتمل معنيين.

فإن المتكلم عبر الوسائل الإعلامية العامة؛ كالقنوات الفضائية، وقنوات الشبكة العنكبوتية، يسمعه ويشاهده كل أحد مع اختلاف الأجناس واللغات، وقد قال الله تعالى في حكاية دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤].

١٦ ـ من ذكاء المناظر وحنكته، أن يسأل خصمه أسئلة غير متوقعه، ويورد عليه إيرادات مفاجئة، لكنها جميعاً داخلة في موضوع المناظرة، وذلك أن الخصم يكون مستعداً لأسئلة مشهورة، قد جهز الرد عليها، فمباغتته بسؤال لم يتوقعه، يُظهر عجزه وجهله.

١٧ ـ اهدم الرأي الباطل ثم اشرح الحق، ليستقيم كلامك عند السامع.

معلوم أن المناظر الذي يبدأ المناظرة يشرع في بيان ما يراه حقاً، مع الاستدلال له، فهو يبني بناءً يقويه بحجته ودليله، عندها فإن الطرف الآخر المعترض المخالف لا يصح أن يبدأ بالاستدلال لرأيه أيضاً إلا بعد أن يهدم ما بناه خصمه، وذلك لتكتمل الفائدة وتزول الشبهة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الدليل إن لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم.. فإن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى

---

(١) الموسوعة الفقهية ٣٩/ ٥٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٨.

ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة.. فينبغي إذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل، امحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق»[1].

١٨ ـ اختصر كلامك قدر المستطاع عند عرض رأيك، دون إخلال بالمعنى.

وذلك أن السامع للمناظرة الباحث عن الحق، ربما شق عليه فهم الكلام مع التطويل والتفصيل، وربما أيضاً شرد ذهنه وهجمت عليه السآمة والملل.

ومن لطائف ما ذُكر في ذلك، أن الإمام الباقلاني كان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة، وجرى يوماً بينه، وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام، ووسع العبارة، وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين، وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب!

فقال الهاروني: اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال![2].

وقال طاش كبري زاده، في منظومته عن آداب المناظرة:

وليجتنب فيها عن الإطناب	ثم عن الإيجاز والخطاب
إلى رفيع القدر والمهابة	وعن كلام شابه الغرابة
ومجمل من غير أن يفصلا	كذا تعرّض لما لا مدخلا
كذاك عن دخل قبيل الفهم	لا بأس من إعادة للفهم
ولا يظن خصمه حقيرا	وليلزم التعظيم والتوقيرا
ثم عن الضحك وما قد ذكرا	وما عنيناه ومنا صدرا

(١) العقيدة الأصفهانية ١/ ٢٣.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩ في ترجمة الباقلاني.

إيراده قد صح في ذا الباب   فهذا خواتيم الآداب[1]

١٩ ـ لا تبدأ المناظرة إلا وأنت مستقر النفس، مرتاح البال، فلا تناظر وأنت خائف، أو جائع، أو مريض، أو غضبان، أو منشغل البال بشيء، وذلك حتى تستجمع الفكر، وتستحضر الحجة، وتأمن الغلط.

٢٠ ـ حاول أن تورد في البداية الآراء المتفق عليها بينك وبين الخصم، وأن تسأله أسئلة يكون جوابها: نعم، وهذا أمر نفسي معروف، وهو من طبيعة البشر.

فمثلاً عند مناظرة الرافضي الذي ينصب للصحابة رضي الله عنهم العداء، قل له ابتداءً:

ألست تؤمن أن الله تعالى يختار لرسوله الأصلح؟

فيقول: نعم.

فقل: أليس الله تعالى قد فضح أعداداً من المنافقين، ونص على صفاتهم تصريحاً؟

فيقول: نعم.

فقل: إن الله تعالى أثنى على أبي بكر في القرآن، وسماه صاحباً لرسوله ﷺ، وقدر أن يدفن أبو بكر بجانب رسول الله ﷺ، ألا يدل هذا على فضيلة أبي بكر؟

فقد يسكت، أو يقول: نعم ـ مضطراً ـ.

فقل: أفيكون هذا كله لأبي بكر وهو منافق أو كافر كما تزعم؟

إلى غير ذلك مما يمكن أن يناظر به المخالفون، سواء من المنتسبين إلى الإسلام، أو غيرهم.

٢١ ـ لا تناقش في فروع المسائل وتفصيلاتها، وأنت وخصمك لم تتفقا على الأصل.

---

(١) ذكرها في كتابه «علم البحث والمناظرة» نقلاً عن كتاب الذخيرة في المصنفات الصغيرة لأبي عبد الرحمٰن بن عقيل للظاهري ١/ ٢٩٥.

وصورة ذلك: أن تناظر أحد الشيعة في مناقب أبي بكر رضي الله عنه وهذا الشيعي يعتقد كفر أبي بكر رضي الله عنه! بل أقم عليه الحجة ابتداءً بإيمان أبي بكر رضي الله عنه، ثم ناقشه في الفروع، كما قيل أثبت العرش ثم انقش.

٢٢ ـ اجمع قبل المناظرة أكثر ما تستطيع من مسائل، لتناظر بها الخصم.

حتى إذا ذُهلت عن مسألة، أو لم يناسب السياق إيرادها، أوردت غيرها، وليكن لك أسوة بنبي الله تعالى إبراهيم صلى الله عليه وسلم في مناظرته للنمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٢٣ ـ احفظ لسانك، وجمّل منطقك، ولا يستثرك الخصم، ولا يجرك إلى استعمال ألفاظ عبارات الشتم واللعن، والسخرية والاستهزاء والتهكم.

ولا شك أن حفظ اللسان، وتجنب اللغو، هو من أخلاق المؤمنين، فضلاً عن أن يكون من أهم أخلاق أهل العلم، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: **«ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»**[(١)].

٢٤ ـ ضبط النفس وعدم الانفعال والحرص على التلطف مع الخصم أثناء الحوار بكلماتٍ مودةٍ واحترام طيلة المناظرة، رغبة في جرّه إلى الخير، وجذبه لأهله.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٣٨)؛ وأحمد (٣٨٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد ٣١٢؛ والترمذي (١٩٧٧)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة ١٠١٤.

ومن جميل ما ورد في ذلك، ما جاء عن ابن عون رحمه الله تعالى: «أنّه كان إذا أغضبه رجل، كظم غيظه وقال له: بارك الله فيك»[(١)]، وأعجب منه ما روي عن يوسف ابن الإمام ابن الجوزي من ضبط نفسه أثناء المناقشة، فقد حكي عنه أنه «كان يناقش ولا يحرك جارحة!»[(٢)]، وجاء عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة: «أنه كان لا يناقش أحداً إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم!»[(٣)].

وكان المبارك ابن المبارك الضرير النحوي قد التزم سماحة الأخلاق، وسعة الصدر، فكان لا يغضب من شيء، ولم يره أحد قط حردان، وشاع ذلك عنه، فبلغ ذلك بعضهم فقال: ليس له من يغضبه، ولو أُغضب لغضب! فخاطره أشخاص على أن يغضبه.

فجاءه، فسلم عليه، ثم سأله عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ودله على محجة الصواب.

فقال له: أخطأت!

فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب، وسهل طريقته، وبيّن له حقيقته.

فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو، ويهتدي بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك!!

فلاطفه، وقال له: يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت.

فقال الرجل: كذبت! لقد فهمتُ ما قلتَ، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم.

فقال الشيخ ـ وهو يضحك ـ: قد عرفت مرادك، ووقفت على مقصودك،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٦٦.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٠.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٧.

وما أراك إلا وقد غُلبت، فأدِّ ما بايعت عليه، فلستَ بالذي تغضبني أبداً، وبعد يا بني: فقد قيل إن بقة جلست على ظهر فيل، فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران! فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست! فكيف أستمسك إذا أنت طرت؟!

والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل، ولا تفهم الجواب، فكيف أستاء منك(١).

٢٥ ـ تجنب أسلوب التحدي وكن رفيقاً حسن النية، وذلك أن التحدي قد يجعل الخصم يكابر ولا يعترف بخطئه حتى لو اقتنع به في داخل قلبه، إلا إذا رأيت أن الخصم يكابر ـ مع قناعته ـ وأن تحديك له سيسوقه إلى الاعتراف بالحق، فهنا لكل مقام مقال، كما قال ربنا تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٢٦ ـ ليكن هدفك في المناظرة بيان الحق، وإيضاحه، وليس شرط انتصار الحق في المناظرة أن يعترف الخصم بخطئه.

فلا تتكلف إلجاءه إلى الزوايا الضيقة لتضغط عليه ليصرح بالاعتراف بخطئه، إلا إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، كتحذير الناس منه، أو تنفير أتباعه العوام عنه، أو ما شابه ذلك.

والمقصود من المناظرة إظهار الحق، وتعريف الناس به، وفضح الباطل، وتحذير الناس منه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

٢٧ ـ تكلم أثناء المناظرة بصوت معتدل، فلا تخفضه خفض الضعيف المتخاذل، ولا ترفعه رفع اللجوج المتعالي، بل اجعل صوتك متوسطاً.

وقد وُجد بالخبرة والتجربة، أنَّ الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرارٍ وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم.

---

(١) معجم الأدباء ٥/ ٤٤.

ولا يحسن بالمحاور أن يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإنَّ رفع الصوت لا يُقوِّي حجة صاحبه، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية.

قال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعتُ أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته[١].

غير أن الإنسان قد يضطر إلى تغيير نبرات الصوت تبعاً للموقف ونوع الكلام، لينسجم الصوت مع الفكرة التي يناقشها، كما قال ربنا تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

٢٨ ـ التواضع وترك الإعجاب بالنفس.

ولا شك أن التزام الأدب وحسن الخلق ـ عموماً ـ والتواضع أثناء المناظرة على وجه الخصوص، له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق، وإذعانه للصواب، فكل من يرى من مُحاوره توقيراً وتواضعاً، وخلقاً كريماً، وعبارة رفيقة، فإن ذلك يدعوه إلى أن يحترم مُحاوره، ويفتح قلبه لسماع رأيه، وربما رجع عن الباطل الذي يعتقده، وإن لم يصرح بذلك.

٢٩ ـ لا تكثر استعمال ضمير المتكلم، مثل: «في رأيي» أو «أرى» فهي ثقيلة على أذن السامع ونفسه، والصواب استعمال عبارات عامة مثل «وقد تقدم قبل قليل..»، و«مما سبق يتبين..»، ونحوها من العبارات التي لا تنسب فيها الفعل إلى نفسك.

٣٠ ـ ومن آداب المناظرة إنصاف الخصم، وعدم ظلمه، فلا تستغل جهله فتنسب إلى مذهبه ما ليس فيه، ولا تعتدِ على وقته المخصص له في المناظرة، وأثنِ على ما يورده من حق، وربنا تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) تهذيب الأسماء، للنووي ص٨٤.

ولك أسوة بالسلف، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تكلم في بعض العلماء مثل: الجويني والباقلاني وعدد من من المتكلمين ممن لا يخلو حالهم من خلل، قال: «ثم ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة، وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السُّنَّة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصاف»(١).

٣١ ـ اعرض رأيك أثناء المناظرة بأسلوب، يشعر معه الخصم أن الفكرة فكرته، حتى يقيم هو الحجة على نفسه، ليسهل عليه تبني الرأي واعتقاده.

ومن نظر في سيرة النبي ﷺ وجد أن هذا الأسلوب ظاهر في حواراته، من ذلك ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه: أنّ فتىً شاباً أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزّنا!

فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال له ﷺ: **«أدنه»**.

فدنا منه قريباً، فجلس.

فقال له ﷺ: **«أتحبه لأمّك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لأمّهاتهم، أفتحبه لابنتك؟»**.

قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لبناتهم، أفتحبه لأختك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لأخواتهم، أفتحبه لعمّتك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا النّاس يحبونه لعمّاتهم، أفتحبه لخالتك؟»**.

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ١٣٢.

قال: «ولا النّاس يحبونه لخالاتهم».

ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «اللّهمّ اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهذا ظاهر أيضاً في محاورة إبراهيم عليه السلام مع قومه، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٧].

ومن لطائف ما يورد في ذلك: أن أبا العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه يوماً وقال له: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل ولا يدري أحدنا ما هو! أيسعه أن يضرب عنقه؟

قال أبو حنيفة: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟

قال أبو العباس: بالحق.

قال أبو حنيفة: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه.

فلما رحل أبو العباس، قال أبو حنيفة لمن حوله: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته[2].

٣٢ ـ قد تنتهي المناظرة، أو المناظرات، وخصمك مصرّ على رأيه، مع ضلال هذا الرأي، ويظهر له الحق واضحاً كوضوح الشمس، ومع ذلك لا يتبعه، إما غياً واستكباراً، أو جهلاً وضلالاً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده ح ٢٢٤٥؛ والطبراني في المعجم الكبير (ح٢١٤).

(٢) الأذكياء لابن الجوزي ص٧٩.

وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤][1].

فهنا لا تعتبر نفسك فشلت في المناظرة، ولا يخذلك عن نصح غيره، ومناظرته، فقد يقبل الحق في داخل نفسه دون أن يظهر لك ذلك، أو قد يقبله أتباعه الذين رأوا حجته دُحضت، ومذهبه أُسقط، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٢، ٨٣].

٣٣ ـ بعد انتهاء المناظرة، ومفارقتك مناظرك، احذر من غيبته عند من يسألك عنه، أو تنقصه والكلام في عرضه، إلا إن احتجت إلى التحذير منه، فاذكر ما اضطررت إليه من بيان حاله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

فهذه بإيجاز جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المناظر عموماً، سواء ناظر في قضية عقدية أو فقهية، أو سياسية، أو غيرها، وسواء كان المتناظران كلاهما من أهل السُّنَّة والجماعة، أو كان أحدهما من أهل السُّنَّة والآخر مبتدعاً، فإن المتناظرين في كل هذه الأحوال ينبغي أن يلتزموا بالآداب لتؤتي مناظرته أكلها، وتحقق الغاية منها.

أما إن كانت المناظرة في العقيدة، وكان المناظر المخالف هو من أهل البدع، وكانت المناظرة علنية في القنوات الفضائية أو ما شابهها، فهناك آداب تضاف لهذه الآداب، أعرضها في المبحث القادم.

---

(١) للاستزادة من آداب المناظرة يمكن مراجعة: كتاب «فن المناظرة» للأستاذ عمر سليم، منشور في الشبكة العنكبوتية، و«أصول الجدل والمناظرة» للشيخ حمد بن إبراهيم العثمان، وأدب الحوار والمناظرة للأستاذ علي جريشة، آداب البحث والمناظرة للشيخ الأمين الشنقيطي، وغيرها.

المبحث الرابع

توجيهات عامة لمناظر المبتدعة

تمهيد

تقدم عرض آداب المناظرة، وأخلاق المناظر، بوجه عام، لكني هنا سأسوق توجيهات خاصة لمن يناظر أهل البدع عامة، والشيعة خاصة.

فمن يريد خوض المناظرات، والمشاركة في الحوارات، لا بد أن يتحلى بصفات، ليحقق الغاية من المناظرة، ويصيب الهدف الذي تناظر لأجله.

وفيما يلي أعرض شيئاً من الصفات التي ينبغي توافرها في المشارك في هذه المناظرات، وأسوق بعض التوجيهات حول ذلك:

١ ـ أن يكون المشارك من أهل السُّنَّة والجماعة ممن يستحق أن يمثل الإسلام، ويتحدث باسم المسلمين.

وذلك يتحقق بشروط:

- أن يكون فصيحاً، واضح العبارة، سهل الشرح والبيان، ليفهمه عوام الناس، وجهلاؤهم قبل غيرهم.
- أن يكون عنده من الجرأة والشجاعة، ما يعينه على بيان الحق، وعدم السكوت عن الباطل.
- أن يكون سريع البديهة، ذكياً، لماحاً، له قدرة على مباغتة الخصم، وانتهاز الفرص أثناء المناظرة.
- أن يكون حليماً، قادراً على ضبط نفسه، غير متعجل، ولا سريع الانفعال، ولا يستجيب لإثارة الخصوم له.

• أن يكون له علم واسع بمذهب أهل السُّنَّة، ومذهب المخالف، ليستطيع الإجابة عن الشبهات، ويبين رأي أهل السُّنَّة والجماعة بوضوح، ولئلا ينسب إلى أهل السُّنَّة والجماعة ما ليس في مذهبهم.

• أن يكون في قلبه من الدين والإيمان ما يعصمه بإذن الله من الشبهات، قال الإمام مالك بن أنس: «الداء العضال التنقُّل في الدين، وقال: قال رجلٌ: ما كنتَ لاعباً به فلا تلعبَنَّ بدينك»(١).

• أن يتنبه غاية التنبه لقلبه ونيته، وسلامة عقيدته، ويقول لنفسه: «إني لو نجوتُ وعطب أهلُ الأرض من أهل الأهواء ما ضرني ذلك، ولو عطبتُ ونجَوا ما نفعني، فإقامتي الحجة عليهم وتركي أن أقيم الحجة على نفسي - في تضييعي أمره حتى أؤدي ما أمرني به ربي، وأنتهي عمَّا نهاني عنه، وأربح أيام عمري ليوم فقري وفاقتي - أولى بي فقد شغلوني عن نفسي وعن العمل لنجاتي»(٢).

• أن يكون له ارتباط بإخوانه من العلماء وطلبة العلم، تثبيتاً له على الخير، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

• أن يكون له معرفة ومقدرة على البحث السريع فيما أشكل عليه من كلامه أو كلام الخصم، وذلك إما بالاتصال بأهل العلم، أو استعمال الوسائل الحديثة مثل الأقراص الممغنطة المحتوية على ملايين الصفحات، أو الشبكة العنكبوتية.

• أن يحذر من إغراءات الخصوم، وكيدهم، ومكرهم، وذلك أن المبتدع قد يسلك معه طرقاً يوصل بها إليه ضرراً، أو يغريه بمال أو هدية، يستميل قلبه، ليسكت عن الحق أو بعضه.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٠٦.

(٢) الرعاية لحقوق الله تعالى للحارث المحاسبي ص٤٦٠.

٢ ـ كلما كان المشارك من أهل السُّنَّة له وجاهته، وشهرته، كان أثره أكبر، سواء على أهل السُّنَّة أو غيرهم.

٣ ـ الحرص على أن لا يشتغل أكثر وقته بهذه المناظرات، ويغفل عن قلبه وصلاح نفسه، قال جعفر بن محمد: إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تُشغل القلب، وتورث النفاق[١].

٤ ـ وجود حكم في المناظرة يفصل بين الخصمين عند الاختلاف، أو أصول يرجع إليها.

وذلك أن المناظر قد يستدل بحديث على خصمه المبتدع فيرده الخصم بناء على أن الراوي غير معتمد عنده، أو الكتاب ليس بحجة عنده.

قال الإمام الشاطبي: «روينا أن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أو لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة بحال».

والأصل هو الرجوع للكتاب والسُّنَّة أن كان المتناظرين مسلمين: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وجب اتباعه»[٢].

ولا يجوز التحاكم إلى عقول الناس لأن العقول متفاوتة في الفهم والإدراك، قال شيخ الإسلام: «وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاعَ إلا كتاب من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل»[٣].

وكان أبو هريرة يتوضأ مما مست النار، فبلغ ذلك ابن عباس فأرسل إليه: أرأيت لو أخذت دهنة طيبة فدهنت بها لحيتي أكنت متوضئاً؟ قال أبو

---

(١) الإبانة الكبرى ٢/٥٢٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/١٢.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٢٩.

هريرة: يا ابن أخي، إذا حدثت بالحديث عن النبي فلا تضرب له الأمثال جدلاً[١].

وإن كان المناظر ملحداً أو لا يؤثر فيه النصوص، سواء من القرآن والسُّنَّة، أو كتبه، أو غيرها فتناظره بالأدلة العقلية والبراهين.

وقد ذكر الله تعالى هذه الطريقة في القرآن، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩].

٥ ـ أن لا يقبل المناظر السُّنِّي أن يناظر كل أحد من المبتدعة مناظرات معلنة جماهيرية، بل يناظر رؤوسهم الذين لهم تأثير، وذلك أن هؤلاء معتمدون عند قومهم، وقولهم حجة في مذهبهم، وكلامهم له وزنه، ودحضهم وفضح باطلهم، له تأثيره.

أما صغار المبتدعة والمغمورون فهؤلاء لا ينبغي الاستجابة لمناظراتهم، وذلك أنه إذا ناظر العالم السُّنِّي مبتدعاً غير مشهور ولا معتمد في مذهب قومه فقد يظهر هذا المبتدع لعوام الناس، ويعرفونه، وربما صار له مستمعون ومتابعون بعدها، بعدما كان مغموراً لا يكاد يعرفه أحد، بل مثل هذا لا يناظر على الملأ، ولكن يُنصح ويُناظر في مجالس مختصرة.

فمجالسة أئمة السُّنَّة للمبتدع قد تغرُّ به مَن سَلِم من هذه البدعة ولم يعلم بها، أو قد تعطي لهؤلاء شيئاً من الاعتبار والمكانة التي لا يستحقونها، وقد تؤدي إلى شهرة المبتدع وظهوره وانتشار البدعة وعلم الناس البرءآء منها.

قال أبو القاسم الأصبهاني وهو يذكر فصولاً مستخرجة من السُّنَّة: «وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سُنَّة؛ لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعضُ بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل بدعة، ولئلا يكون في

(١) أورده ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٠٤.

مجالستهم ذريعة إلى بدعتهم»[١].

فكان الحزم عند وُجهاء أهل السُّنَّة، الحذر من استفادة هؤلاء المغمورين من جماهير أهل السُّنَّة.

وقد هجر الإمامُ أحمد بن حنبل الحارثَ المُحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك، ألستَ تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟!، ألستَ تحمل الناسَ بتصنيفك على مطالعة البدعة؟ والتفكر في تلك الشبهات؟ فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث[٢].

ولعل هذا هو الذي أدخل على الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ التأثر ببعض المذاهب البدعية فدخلت عليه البدعة من حيث أراد ردها[٣].

وقال ابن هانيء: «سألت أبا عبد الله عن رجل مبتدع داعية يدعو إلى بدعته، أيجالس؟. قال: لا يجالَس ولا يُكلَّم لعله أن يرجع»[٤].

قال الإمام اللالكائي: «فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف، وكلام غير مألوف في أول الإمارة المروانية تنازع في القدر وتتكلم فيه.. ثم انطمرت هذه المقالة، وانجحر من أظهرها في جحره، وصار مَن اعتقدها جليسَ منزله، وخبّأ نفسه في السرداب كالميِّت في قبره؛ خوفاً من القتل والصلب والنكال والسَّلب، ومِن طلبِ الأئمة لهم لإقامة حدود الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم ـ وقد أقاموا في كثير منهم، ونذكر في مواضعه أساميهم ـ. وحثَّ العلماءُ

---

(١) كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة ٢/ ٥٠٩.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٩٥.

(٣) وقارن بميزان الاعتدال ١/ ٤٣١ وفيه تعليق قيم للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٢؛ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٤٥٢ ـ ٤٦٦؛ وانظر حول منع أحمد من الرد على المبتدعة ـ أيضاً ـ: الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.

(٤) مسائل الإمام أحمد ابن حنبل برواية ابن هانيء ٢/ ١٥٣؛ والإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٤٧٥؛ وانظر كذلك حول السكوت وترك المراء: الشريعة ١/ ٤٥٣؛ الإبانة الكبرى ٢/ ٥٢٢.

على طلبهم، وأمروا المسلمين بمجانبتهم، ونهوهم عن مكالمتهم، والاستماع إليهم، والاختلاط بهم لسلامة أديانهم. وشهّروهم عندهم بما انتحلوا من آرائهم الحديثة، ومذاهبهم الخبيثة خوفاً من مكرهم أن يُضلوا مسلماً عن دينه بشبهة وامتحان، أو بَرِيق قولٍ من لسان. وكانت حياتهم كوفاة، وأحياؤهم عند الناس كالأموات. المسلمون منهم في راحة، وأديانهم في سلامة، وقلوبهم ساكنة، وجوارحهم هادية. وهذا حين كان الإسلام في نضارة، وأمور المسلمين في زيادة»[١].

ثم ذكر بداية أمر مناظرة أهل البدع ثم قال: «فما جُني على المسلمين جنايةٌ أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قَهر ولا ذُلٌّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً؛ حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطَرَقَ أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة..»[٢].

فهذه جملة ما تيسر جمعه في صفات المناظر، في هذا النوع من المناظرات.

وختاماً: لا ينبغي التوسع في مثل هذه المناظرات، إنما تكون على سبيل إقامة الحجة على أهل الضلال وإظهار دين الله تعالى، وهذا لا ينبغي للإنسان أن يكثر سماعه للمناظرات، ربما يقع في شبه وشبهات وضلالات.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٣٤].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ١/١٦ ـ ١٧.

(٢) المصدر السابق ١/١٩؛ وانظر كلاماً نفيساً حول هذا المعنى في: الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/٥٤٢ ـ ٥٤٤.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

الخاتمة

أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث.. وأساله تعالى النفع والقبول..

ولا شك أن العناية بموضوع المناظرات العلنية، أمر من الأهمية بمكان.

وقد خلصت من هذا البحث إلى عدد من النتائج:

١ ـ أن المناظرات أسلوب لا يستهان به من أساليب إثبات الحق، ودحض الباطل.

٢ ـ لا بد أن يتأدب المناظر بآداب المناظرة، لتحقق المناظرة الغاية منها.

٣ ـ اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالمناظرات، وألّفوا فيها، وشرحوا آدابها وشروطها.

٤ ـ المناظرات العلنية، في القنوات الفضائية، لها مصالح ومفاسد، لكن مصالحها أكثر من مفاسدها.

٥ ـ على المناظر في القنوات الفضائية أن يلتزم بأساليب وطرق وآداب، أكثر ممن يناظر في غير القنوات الفضائية.

٦ ـ لا ينبغي أن ينشغل طالب العلم بالمناظرات، عن صلاح نفسه، والاستزادة من العلم.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات..

والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين..

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

الرياض في ٢٤ محرم ١٤٣٠هـ

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي